٩ ـ أزواج هشام بن عبد الملك

«هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب» أبو الوليد، استخلف بعهد من أخيه «يزيد». وأمه «أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة».

قال «المصعب الزبيري» في كتابه «نسب قريش»: و«هشام بن عبد الملك»، استخلفه «يزيد بن عبد الملك»، وجعل ابنَه «الوليدَ بن يزيد» ولي عهده، وأخذ على «هشام» العهد لا يغيره عن ولاية عهده، وهو «الأحول» له يقول «الوليد بن يزيد»:

هـلـك الأحـول الـمَـشُـو مُ فـقـد أُرسِـلَ الـمَـطَـرْ

وعلى «هشام» خرج «زيد بن علي» بالكوفة، و«هشام» الرابع من ولد «عبد الملك بن مروان» كانوا خلفاء، زعموا أن «عبد الملك» رأى في منامه أنه بال في المحرب أربع مرات؛ فدَسَّ مَنْ يسأل «سعيد بن المسيَّب»، وكان «سعيد» يعبِّر الرؤيا، وكانت قد عَظُمَت على «عبد الملك» فقال «سعيد»: يملك من ولده لصلبه أربعة، فكان «هشام» آخِرَهم، وكان يجمع المال، ويُبَخَّل، ويوصف بالحزم، فقدَّم شاعراً فأنشده:

رجـاؤك أنـسـانـي تـذكـر إخـوانـي ومـالـك أنـسـانـي بِـجَـرْسَـيْـن مـالـيـا

فقال «هشام»: ذلك أحمق لك، وهو الذي حفر «الهَنِيَّ وعَمِلَه»[1].

وكان قد اتخذ طرزاً له قَدْرٌ[2]، واستكثر منه، حتى كان يحمل طرازه على سبعمائة جمل؛ وحمله على ذلك أن «عمر بن عبد العزيز» لما مَدَّ يده إلى بعض

---

(١) الهنيُّ والمَرِيُّ: نهران بإزاء الرقة والرافعة، حفرهما «هشام بن عبد الملك».

(٢) الطِّراز: ثياب السلطان.

أموال بني أمية، لم يعرض لما قطعوا من الثياب ولَبِسُوا، تركها لهم؛ فرأى «هشام» أن «عمر» إمام عدل، وأن مَنْ يأتي بعده مِن أهل العدل يقتدي به، فجعل يتخذ المتاع الجيد، ويؤثِّر فيه ويلبسه، ثم يدخره لولده، وكان يستجيده ويغالي بثمنه[١].

قال «السيوطي»: وكان «هشام» حازماً عاقلاً، كان لا يُدْخِلُ بيت ماله مالاً حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه، وقال «الأصمعي»: أسمع رجل مرة «هشاماً» كلاماً، فقال له: يا هذا! ليس لك أن تسمع خليفتك.

قال: وغضب مرة على رجل، فقال: والله! لقد هممت أن أضربك سوطاً.

وقال «سحبل بن محمد»: ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من «هشام».

وقال «الشافعي»: لما بنى «هشام» الرُّصافة «بقِنَّسْرِين» أحب أن يخلو يوماً لا يأتيه فيه غم، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم بعض الثغور، فأوصلت إليه، فقال: ولا يوماً واحداً[٢].

وذكر له بيت من الشعر لم يحفظ له سواه، وهو:

إذا أنت لم تعصِ الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

وعنه أنه قال: ما بقي شيء من لَذَّات الدنيا إلا وقد نلته، إلا شيئاً واحداً، أخاً أرفع مئونة التحفظ فيما بيني وبينه.

وذكر «السيوطي» بعض أخباره، فقال: أخرج «ابن عساكر» عن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: أراد «هشام بن عبد الملك» أن يوليني خراج مصر، فأبيت، فغضب حتى اختلج وجهه، وكان في عينيه حَوَل، فنظر إليَّ نظرة منكرة، وقال: لَتَلِينَّ طائعاً، أو لَتَلِيَنَّ كارهاً، فأَسْكَتُّ عن الكلام، حتى سكن غضبه، فقلت: يا أمير المؤمنين أتكلم؟! قال: نعم، قلت: إن الله قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

(١) نسب قريش، ص: ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

﴿ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب، الآية: ٧٢] الآية، فوالله! يا أمير المؤمنين! ما غضب عليهن إذ أبين، ولا أكرههن إذ كرههن، وما أنا بحقيق أن تغضب عليَّ إذ أبيت، وتكرهني إذ كرهت، فضحك وأعفاني.

وأخرج عن خالد بن صفوان، قال: وفدت على «هشام بن عبد الملك» فقال: هاتِ يابن صفوان! قلت: إن ملكاً من الملوك خرج متنزهاً إلى الخَوَرْنَق ـ قصر للنعمان بالحيرة ـ، وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة، فنظر وقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك، قال: فهل رأيتم أحداً أعطي مثل ما أعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حَمَلة الحجة، فقال: إنك قد سألت عن أمر، أفتأذن لي بالجواب؟ قال: نعم، قال: أرأيت ما أنت فيه، أشيء لم تزل فيه، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذا هو، قال: فتعجب بشيء يسير لا تكون فيه إلَّا قليلاً، وتنقل عنه طويلاً، فيكون عليك حساباً، قال: ويحك! فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ وأخذته قُشَعْرِيرَة ـ رِعْدَة ـ، قال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك وسرَّك، وإما أن تنخلع من ملك، وتضع تاجك، وتلقي عنك أطمارك، وتعبد ربك، قال: إني مفكر الليلة، وأوافيك السحر، فلما كان السحر، قرع عليه بابه، فقال: إني اخترت هذا الجبل، وفلوات الأرض، وقد لبست عليَّ أمْسَاحي، فإن كنت لي رفيقاً لا تخالف، فلزما الجبل حتى ماتا، وفيه يقول «عدي بن زيد» العبادي:

أيها الشامت المغير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفورُ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ـامِ؟ بل أنت جاهل مغرورُ
مَنْ رأيت المنون خَلَّدن؟ أم مَنْ ذا عليه من أن يضامَ خفيرُ؟
أين كسرى؟ كسرى الملوك أبو سا سانَ أم أين قبله سابورُ؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ رُوم لم يبق منهمُ مذكورُ
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دِجْـ ـلَةُ يُجْبَى إليه والخابورُ
شاده مرمراً وجلَّله كِلْـ ـساً فللطير في ذراه وُكورُ
لم يهبه ريب المنون فباد الـ مُلْكُ عنه فبابه مهجورُ
وتذكر رب الخورنق إذ أشـ رَفَ يوماً وللهدى تذكيرُ

سَـرَّه مـالُـه وكـثـرة مـا يَـمْـ ـلِـكُ والـبـحـر مـعـرضٌ والـديـرُ
فـارعـوى قـلـبـه وقـال ومـا غِـبْـ ـطـةُ حَـيٍّ إلـى الـممـات يـصـيـرُ
ثـم بـعـد الـفـلاح والـمـلـك والأمْـ ـمَـة وارتـهـم هـنـاك الـقـبـورُ
ثـم صـاروا كـأنـهـم وَرَقٌ جَـفَّ فـأَلْـوَتْ بـه الـصَّـبَـا والـدَّبُـورُ

قال: فبكى «هشام» حتى اخضلَّت لحيته، وأمر بابنتيه، وطي فرشه، ولزم قصره، فأقبلت الموالي والحَشَم على «خالد بن صفوان» وقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين؟ أفسدت عليه لذته، فقال: إليكم عني، فإني عاهدت الله أَلَّا أخلو بملكٍ إلَّا ذكَّرته الله تعالى[١].

وأما عن نسائه وأبنائه، فقد ذكر «المصعب الزبيري» في «نسب قريش»: وولَدَ «هشامُ بن عبد الملك»: «مروانَ»، وهو أبو شاكر، و«يزيدَ» و«محمداً» و«أمَّ يحيى» و«أمَّ هشام»، تزوَّجها «يزيد بن الوليد بن عبد الملك» فلم يدخل بها، فخلف عليها «عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد» ثم خلف عليها «عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم» وأمهم «أم حكيم بنت يحيى بن أبي العاصي»، و«عبدَ الله بن هشام» و«عائشةَ بنت هشام» تزوجها «عبيد الله بن مروان بن الحكم» وأمهما «عبدة بنت الأُسوار بن يزيد بن معاوية»، و«مروانَ بن هشام» وأمه «أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان» و«معاويةَ» و«سعيداً» ابني «هشام» لأم ولد؛ و«سليمانَ بن هشام» لأم ولد، قَتَلَتْهُ المُسَوِّدة، وكان خالف «مروان بن محمد» ولحق بالضحاك الحروري، قال:

أعـائـشُ لـو أبْـصَـرْتِـنَـا لـتـحـدَّرت دمـوعُـكِ لـمـا خـفَّ أهـل الـبـصـائـرِ
عـشـيـة رُحْـنـا واللـواء كـأنـه إذا زعـزعـتـه الـريـحُ أشـلاء طـائـرِ

و«عبدَ الرحمٰن» و«قُرَيشاً» لأم ولد، و«زينبَ» «تزوجها «محمد بن عبد الله بن عبد الملك» فولدت له، و«أمَّ سلمة» تزوجها «عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك» وهما لأم ولد[٢].

قال «ابن عساكر» في «أعلام النساء»:

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) نسب قريش، ص: ١٦٧ ـ ١٦٨.

«أم حكيم» بنت يحيى، ويقال: بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها «زينب بنت عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام» المخزومية، امرأة شاعرة، تزوجها «عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك» فطلَّقها، ثم تزوجها «هشام بن عبد الملك» فولدت له «يزيد بن هشام» وإلى «أم حكيم» هذه ينسب سوق «أم حكيم»، وهو سوق القلائين، وقصر «أم حكيم» الذي عند «مرج الصفر».

روى «أبو بكر بن يزيد بن عياض»، عن أبيه، قال: ولدت «زينب بنت عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام ليحيى بن الحكم»؛ أم حكيم بنت يحيى، فتزوج «أم حكيم»، «عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك» ثم تزوج عليها «ابنة لأبي بكر بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر» فحظيت «ابنة أبي بكر» عنده، فطلَّق عنها «أم حكيم»، فتزوجها «هشام بن عبد الملك» فلما مات «عبد العزيز بن الوليد»، تزوج «هشام بن عبد الملك» ابنة أبي بكر، فجمعهما، ثم طلَّق «ابنة أبي بكر» عن «أم حكيم» وقال لها: أرضيتكِ، أقدتكِ منها، طلقتها عنك كما طلقك «عبد العزيز» عنها، فولدت «أم حكيم» لهشام بن عبد الملك: «مسلمة» و«محمداً» و«يزيد»[1].

وقال ابن عساكر: «أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس» الأموية، قال القاسم بن معن: كانت «أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان، عند «هشام بن عبد الملك» ثم طلقها، فندم على طلاقها، فتزوجها «العباس بن الوليد بن عبد الملك» ثم طلقها وندم على طلاقها، فتزوجها «عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز» فدسَّ إليها «العباس»، «أشعب» بأبيات قالها، قال له: إن أنشدتها إياها، فلك ألف دينار.

قال: فأتاها فأنشدها، فقالت له: دسَّك «العباس» وجعل لك ألف دينار، فأخبره عني ولك ألف دينار، ثم قالت: وما قال؟ فقال: قال:

أسعدة هل إليك لنا سبيل؟ ولا حتى القيامة من تلاقِ

(١) أعلام النساء، ص: ٥٦.

فقالت: إن شاء الله، فقال:

بلى ولعل دارك أن تواتي بموتٍ من حليلك أو فراق

قالت: بفيك الحجر، قال:

فأرجع شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد الشقاق

قالت: بل يشمت بك، إن شاء الله[١].

وقال ابن عساكر: عن أبي مسلم عبد الله بن مسلم، عن أبيه، قال: بصرت أم ولد لهشام بن عبد الملك بوَلَد لها لهشام، فرأتهم على غاية البهاء والطَّلَل ـ المنظر الحسن ـ، وكانت الجارية شاعرة أديبة، فأنشأت تقول:

إذا خلطنا ماءنا بمائهم جاءوك كالياقوت في صفائهم
وحمدوا في فعلِهم ورَائِهم ونسبوا بعد إلى آبائهم
فهذه الصفة من أنبائهم[٢]

وقال ابن عساكر: «سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية»، أم سلمة، زوج «هشام بن عبد الملك»، ثم خلف عليها «الوليد بن يزيد بن عبد الملك»، وهي التي حلف بطلاقها قبل دخوله بها، واستقدم فقهاء المدينة ليفتوه في أمرها، وكانت عنده أختها لأبيها، وأختها «أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد».

عن صدقة بن عبد الله الدمشقي، قال: جئت محمد بن المنكدر، وأنا مغضب، فقلت: أألله، أنت أملك للوليد بن يزيد «أمَّ سلمة»؟ قال: أنا؟ ولكن رسول الله ﷺ، حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا طلاق لمن لا يملك، ولا عتق لما لا يملك»**.

وروي أن «هشام بن عبد الملك» أرسل إلى «سعيد بن خالد» ينهاه عن تزويج «الوليد بن يزيد»، ويقول له: أتريد أن تتخذ «الوليد» فحلاً؟ فلم يزوجه إياها، فلما امتنع من تزويجه أنف، وحلف بطلاقها إن تزوجها، وقيل: إنه لم

(١) أعلام النساء، ص: ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) أعلام النساء، ص: ٨٣ ـ ٨٤.

يُزَوَّجْها لسبب آخر، وهو أنه دخل دار أبيها يوم مات، وهي بدمشق، وكانت تحته أختها «أم عبد الملك بنت سعيد» فخرجت في ثياب بياض مسفرة، فقالت له وهي لا تعرفه: ويلك! مات أبي، فوقعت في نفسه، فطلَّق أختها، وخطبها، فلم يزوجوه إياها، فالله أعلم بالصحيح من القولين، وللوليد فيها أشعار كثيرة.

قال «الوليد» لسلمى بعد أن دخل بها: خطبتك إلى أبيك وأنا ولي عهد، فلم يزوجني وأطاع «هشاماً»، أكان أبوك يطمع في الخلافة، وقال «الوليد»:

وإنك والخلافة يا سعيد لكالحادي وليس له بعير

فماتت «سلمى» بعدما دخل بها «الوليد» بأربعين يوماً فبكاها «الوليد»[١].

وقال ابن عساكر: كانت «عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية» عند «هشام بن عبد الملك»، وكانت من أجمل النساء، فدخل عليها يوماً وعليها ثياب سود رقاق من هذه التي يلبسها النصارى يوم عيدهم فملأته سروراً حين نظر إليها، ثم تأملها فقطب، ففطنت، فقالت: ما لك يا أمير المؤمنين!؟ أكرهت هذه؟ ألبس غيرها؟ قال: لا، ولكن رأيت هذه الشامة التي على كشحك من فوق الثياب، وبك تذبح النساء ـ وكان بها شامة في ذلك الموضع ـ أما إنهم سينزلونك عن بغلة شهباء وردَه ـ يعني بني العباس ـ ثم يذبحونك ذبحاً[٢].

وبالفعل قبض عليها «عبد الله بن علي» بحمص ودفعها إلى «الكاملي» ليذبحها بامرأة «زيد بن علي» ففعل.

وشتم «هشام» مرة رجلاً من الأشراف فقال له: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض، فاستحيا «هشام» وقال: اقتص مني، قال: ما أنا بسفيه مثلك، قال: فَخُذْ مني عوضاً من المال، قال: ما كنت لأفعل ذلك، قال: فهبها لله، قال: هي لله، ثم لك، فنكس «هشام» رأسه واستحيا، وقال: والله! لا أعود لمثلها أبداً. وكانت وفاة «هشام» لست خلت من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة.

---

(١) أعلام النساء، ص: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.